القرآنية في شعر الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله

م. م.كوثر فليح عبد الموسوي

مديرية تربية المثنى

The Quranic in the poetry of Sheikh Ahmed Al-Waili (may God have mercy on him)

Assit. Lect. Kawthar Fleeh Abdul-Mousawi

Muthanna Education Directorate

ملخص البحث

توجه البحث نحو دراسة مظاهر القرآنية في الشعر العراقي المعاصر وهو (التناص مع القرآن الكريم)، في ديوان شعر الشيخ أحمد الوائلي(رحمه الله)، إذ يمثل هذا الديوان منجزًا لغويا فصيحًا لما تميز به شاعره من فصاحة اللسان، وفخامة الألفاظ، وجزالة المعاني، وهذا نتاج لدراساته الأكاديمية، والبيئة العلمية التي نشأ فيها الشيخ أحمد الوائلي، وقد لحظ البحث أن مظاهر القرآنية في ديوانه تمثل نوعين من أنواع التعالق مع النص القرآني، وكانت القرآنية التي تناص معها الشعر هي القرآنية غير المباشرة، وقد قسمت في البحث على قسمين: محورة وغير محورة في الاستعمال لهذه الآيات التي تعالقت مع الأبيات الشعرية على وفق ما أراده الشاعر، فمرة حاول توظيف النص القرآني محتفظًا بالمعنى مغيرًا في الألفاظ وتركيب الآية، ومرة أخرى يُبقي جزءاً من الآية مع تغيير جزء منها موظفًا إياها في معنى شعري جديد، فيعمل هذا التعالق بين النص القرآني والقصيدة على إضفاء دلالات جديدة بحسب السياقات التي وردت فيها، فيكون التناص معها محتملا تلك الدلالات.

Abstract

The research focused on studying the manifestations of Quranic verse in contemporary Iraqi poetry, namely (intertextuality with the Holy Quran), in the poetry collection of Sheikh Ahmed Al-Waeli (may God have mercy on him). This collection represents a linguistic masterpiece, distinguished by its poet's eloquence, magnificence of words, and richness of meaning. This is a product of his academic studies and the scholarly environment in which Sheikh Ahmed Al-Waeli grew up. The research noted that the Quranic manifestations in his collection represent two types of interrelationship with the Quranic text. The Quranic verse with which the poetry interrelates is indirect Quranic verse. The research divided this verse into two sections: modified and unmodified in the use of these verses, which interrelate with the poetic verses according to the poet's intention. At one point, he attempted to employ the Quranic text, preserving the meaning while changing the words and structure of the verse. At another point, he attempted to employ the Quranic text, preserving the meaning while changing the wording and structure of the verse. He keeps part of the verse while changing part of it, employing it in a new poetic meaning. This interrelationship between the Qur'anic text and the poem creates new connotations according to the contexts in which they appear, and thus intertextuality with them allows for those connotations.

لتمهيد:

القرآنية أو التناص أو تعالق النصوص مع القرآن الكريم هذا يُعدُّ نتاجًا أدبيًا قديمًا، فعندما تتصل النصوص بعضها ببعض، يتولد نصٌ لاحق من نص سابق له، وهذا ما يراه الباحثون في أنه: "تبادل التأثر والعلاقات بين نص أدبي ما ونصوص أدبية أخرى، ويؤكد بأن هذه الفكرة كان النقد العربي القديم قد عرفها بصورة تفصيلية تحت باب السرقات الشعرية، فالتناص عنده عبارة عن حدوث علاقة تفاعلية بين نص سابق ونص حاضر لإنتاج نص لاحق"[١]، ولكن هناك فرق بين مصطلح التناص والسرقات الشعرية إذ نجد "التناص يُعبِّر عن كلِّ تداخل بين النصوص كيفما كان نوعه، ولكن مصطلح السرقة يُعبِّر عن ظاهرة السرقات بشكل عام"[٢]، وهذا يُظهر أن التعالق النصي هو: "الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص -أو الأجزاء- من نصوص سابقة عليها"[٣]، فتفاعل النص اللاحق مع النص السابق وتوالد نصوص جديدة عبر امتصاص النص غيره من النصوص وتفاعله معها بشكل يدل على سعة اطلاع الكاتب أو الشاعر وثقافته، ومدى مهارته في توظيف النصوص بشكل يخلق منها نصًا جديدًا، وعليه يمكن أن نصل إلى أن النص الجديد الذي تشكل من نصوص سابقة له ما هو إلا لوحة من الفسيفساء الملونة التي نتجت من اجتماع نصوص عديدة في نص جديد.

يأتي استعمال مصطلح القرآنية ليمثل تلك الآلية التي يتوسّم بها المبدع في تشكيل نصوصه الإبداعية من جهة الرؤى والأفكار، بنية وإيقاعا بحسب سياق القرآن الكريم لتعيض عن استعمال (التناص القرآني) مما يستعمل في التعالق مع القرآن.

وقد رأى البحث إن مصطلح (القرآنية) دالَّ على ما عُرِفَ بالتناصّ القرآني أو تضمين الآيات، وهو مع تبني هذا المصطلح؛ لكونه الأجدر بالقبول والشيوع، إذ كان اعتراض د.مشتاق عباس الذي طرح هذا

المصطلح قائما من جهة كون مصطلح التناصّ يدلّ "على ثنائية مفاهيمية من جهة (الآخذ، والمأخوذ) الأمر الذي يحدث لبسا عند بعض المتلقين لو أضفناه (يعني التناص) إلى القرآن، إذ يدلل على أنّ المأخوذ هو القرآن، كما يصح أن يكون الآخذ أيضا؛ ولاستحالة الاتفاق مع الغرض الثاني، أعرضنا عن هذا الاصطلاح، وأن نستبدل به مصطلحا جديدا"[٤]، ولتداول مصطلح القرآنية حصرنا مظاهرها في محورين: تراوحت بين محاولة انتزاع البنية النصية (القرآنية) من إطارها الأوّل وربطها بعلاقة نصّيّة جديدة، أو الإفادة من المفهومات القرآنيّة والمصاحبات الدلاليّة في إقامة نسق جديد من العلاقات ضمن المنجز الشعريّ، وهذا الأخير من أشدّها جذباً للمتلقي المتفاعل المبدع[٥] .

ويظهر هذا المنجز اللغوي حريصًا على تعالقه مع القرآن الكريم؛ لأنه يمثل نتاجًا لرمز من رموز الخطابة الحسينية فقد عالج الشيخ أحمد الوائلي قرض الشعر على اسلوب وطراز شعراء النجف الأشرف؛ فقد ولد في مدينة شاعرة تأثر ببيئتها الشعرية والأدبية والعلمية فجاءت أشعاره متدفقة العاطفة، إذ عاش قضايا عصره الاجتماعية، والسياسية برهافة الحس، وعمق الوعي في مسايرة التطورات الفكرية فكانت قصائده نابضة بمشاعره النبيلة التي عبرت عن المعاناة.

التعالق مع القرآن الكريم:

يتجلى التعالق مع القرآن الكريم في شعر الشيخ أحمد الوائلي بوضوح؛ وذلك راجع لنشأته الدينية، وطبيعة القضايا التي ناقشها في شعره، كما أن النص القرآني هو من أهم الوسائل المنتجة للدلالات فهو معين لا ينضب بما يحتويه من قصص وعبر وأحداث، كيف لا يكون كذلك وهو كلام الله المعجز، إذ نرى كثيرًا من الشعراء يتكئون على مفرداته ومعانيه، ويقتبسون من آياته ليعكسوا مدى ما يشعرون به تجاه أحداث وقضايا العصر الذي يعيشون فيه[٦]، وأما الجانب الآخر للتناص مع النص القرآني فهو

المخزون المعرفي للشاعر ومدى تأثره ببيئته ودراسته الأكاديمية، فيستدعي الشاعر النص القرآني أو المفردة القرآنية لإيصال فكرته للمتلقي، ولارتباط لغة الشاعر بلغة القرآن الكريم كانت من الروافد المهمة التي استقى منها مفرداته، وألفاظه وتراكيبه؛ لأن القرآن الكريم هو اللبنة الأولى في شخصية الأمة، فجاء نتاج الشاعر معبرًا عن هوية الأمة وقضاياها، ويظهر التعالق في ديوان الشيخ الوائلي تعالقًا غير مباشر إذ عمد إلى تطريز شعره بمفردات النص القرآني ولكن بشكل غير مباشر مرة بشكل مُحَوَّرٍ، وأخرى غير مُحَوَّر.

القرآنية هي تشكيل النص الإبداعي متعالقًا مع النص القرآني أو أن يأتي حسب سياق النص القرآني؛ إذ تبرز هنا امكانية المبدع في استدعاء الآية القرآنية أو جزء منها أو كلمة لتكون جزءًا من نصه الجديد، إذ إن لكل كلمة حقلها الذي نشأت فيه، وعندما ينقلها المبدع من هذه البيئة إلى بيئة جديدة من طريق القرآنية أو التعالق، فإنها تبقى تستمد بعض ملامح بيئتها الأولى، وبما أن للمفردة القرآنية مزية على جميع المفردات الأخرى، وخصوصية بينها، نلحظ أن الاستدعاءات التي تستدعيها هذه المفردة لها صدى أوسع وأثر أكبر من غيرها من المفردات، لذلك عمد الشيخ أحمد الوائلي إلى القرآنية في ديوانه مما يعزز قدرته الفذة في استشعار المحتوى القرآني، والاستعانة به في قصائده المتنوعة، وكانت هذه الاستعانة غير مباشرة محورة وغير محورة.

المحور الأول: القرآنية غير المباشرة المحورة.

في هذا الجزء يعمد المبدع إلى توظيف المفردة القرآنية في نصه الجديد بشكل مختلف عما كان عليه السياق الذي ضمها في النص الأصلي، فيكون النص الأول مغيبًا في النص الجديد، ونجد ذلك في ديوان الوائلي في قصيدة (وافد مصر) التي ألقاها في الحفل الذي أقيم في منتدى النشر في النجف الأشرف للترحيب بالمؤرخ عبدالفتاح عبدالمقصود سنة ١٩٧٧م قال فيها:[٧]

"أوافد مصرٍ للعراق تحيَّةٌ لمصرٍ ومقصود
يكرّمه القطر
ومصر وأرض الرّافدين توائم وما توءم
إلاّ لتوءمه شطر
يشدُّهما عمق الحضارة موئلًا وينميهما
للمجد من يعرب نجر
ومن فوق هذا شرعة الله وحّدت
مسارهما فاستلحم الشَّفع والوتر"

نلحظ بوضوح استعماله للمفردتين القرآنيتين (الشفع والوتر) في قصيدته في تعالق لفظي غير مباشر محور إذ عمد إلى توظيفها معنويا في البيت الأخير معتمدًا دلالتها الأولى في القرآن الكريم إذ وردت في قوله تعالى دالة على معنى الزوج من العدد والفردي للوتر اللذان أقسم بهما الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾[٨]، فبدأ الوائلي ببيان الأواصر الرابطة للبلدين، ثم ذكر شرعة الله وهو دينه الإسلام الذي وحد الأمة في مسار واحد متلاحمين سواء كانا أزواجًا أو فرادى.

كما نجد أنه استلهم معنى قصة النبي يوسف (عليه السلام) في قصيدته (سماسرة الحرب) موظفًا معنى القصة في ملائمة رائعة في خطابه لسماسرة الحرب التي تعصف بالبلاد العربية وخاصة فلسطين، فجعل حال أخوة يوسف أشبه ما يكون بحال هؤلاء السماسرة الذين أباحوا دم الأخوة لأجل دنيا خسيسة، فقال:[٩]

"لقد بعتمُ قدس الدّماء وطهرها ببخسٍ
من الأثمان يا أخوة الذئب
وألقيتم من أجل دنياً خسيسةٍ وحفنة
نفطٍ ألف يوسف في الجبِّ
فأنتم أبو الآثام تجترحونها وأنتم أبو
جهل وأنتم أبو لهب"

ففي هذه الأبيات يستمد الشاعر معنى قصيدته من قصة النبي يوسف (عليه السلام) مشبهًا هذا الحال بذلك الحال الذي أغوى أخوة يوسف بأن يلقوه في الجبّ، ويبيعونه بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة، وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾[١٠]، ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ

بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[١١]، ثم يعود فيقول إنكم كأبي جهل وأبي لهب وقد ورد ذم أبي لهب في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[١٢]، فيعمد هنا إلى تضمين نصه الشعري الآيات القرآنية ولكن بشكل غير مباشر ومحور فلم يأتي بالنص القرآني كاملًا، ولكن القارئ للقصيدة يفهم منها المعنى المراد ايصاله، ناقلًا الفكرة الأساس مضمنة في حوار جديد في بنية جديدة مولدة نصًا شعريًا جديدًا.

ومما ورد في قصيدة (رسائل الأمس) في حديثه مع الأيام قال:[١٣]

"أتينا بليلٍ ليس من جنسِ ليلةٍ يقال لها بالذكر سبحان من أسرى"

فهو يتحدث عن أيامٍ مضت وكيف كان فيها للبلاد قوة وعزة، وكيف أنهم متلاحمين؛ لأنهم أتوا من ليلة عظيمة منها ولد ضياء الاسلام وولد النور الذي أضاء عتمات الزمان، وقد استمد هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾[١٤]، فحوّر المفردات التي وردت في الآية القرآنية وجاء بها بتركيب جديد وبنية نصية جديدة، لكنها لم تخرج من المعنى الأصلي للآية، وكذلك ضمن مفردات قرآنية في نفس القصيدة نفسها إذ قال:[١٥]

"وما ساءنا أن تكبروا وتعظموا وأن تسكنوا الصرح الممرد والقصرا"

ففي هذا البيت يوجه خطابه لمن تصدروا القرار نيابة عن الأمة، فما ساءنا أن تكبروا أو أن تعظموا أو أن يسكنوا الصرح الممرد، وقد ورد ذكر (الصرح الممرد) في قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾[١٦]، فلم يكتف بذكر الصرح للدلالة على البناء المرتفع أي القصر، وإنما جاء بالوصف لذلك الصرح كما ورد في القرآن الكريم مستعملا ذلك ببراعة مستلهمًا منها معنى جديد لشعره، فيظهر لنا مدى أثر القرآن الكريم في نتاجه الشعري، ولم يكتف في هذه القصيدة بتلك المفردات إنما نجد قوله:[١٧]

"أفي سمعكم وقع السياط التي ثوت
ترائبنا أم أن في سمعكم وقرا"

ففي(سمعكم وقرا) قد وردت في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[١٨]، فقد ذم الله سبحانه وتعالى الكافرين بعدم السمع، ووصفهم بأن في آذانهم ثقلٌ يمنعهم من سماع كلام الله الذي ينفعهم ويهديهم[١٩]، فقارب هذا المعنى المعنى الوارد في القصيدة.

ونجد كذلك من التعالق النصي ما يرد في أبيات الشيخ الوائلي في قصيدة (محاورة مع النيل) التي نظمها بالقاهرة سنة ١٩٦٩ قال فيها:[٢٠]

"وانزاح عن قمر السّماء غروره
وخداع ما أعطوه من ألقاب
فلقد تحدته البضاضة والشذا والسحر
عند كواعب أتراب"

ففي هذه المحاورة التي أجراها الشاعر مع النيل نراه يوظف (كواعب اتراب) في قصيدته؛ لأن معناها يتلاءم مع المعنى المقصود في البيت الشعري، وقد وردت في قوله تعالى بأنها جائزة للمتقين وما لهم من المفاز عند ربهم قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾[٢١]، فاستلهم معناه الذي أراد توظيفه من هذه الآية فكأنما جمال الليل وما يدور حول النيل من المغريات التي رأى الشاعر أنها تشبه ما وعد المتقين به.

ففي هذا الجزء من البحث الذي تناول القرآنية غير المباشرة المحورة إذ تبيّن أن الشاعر تأثر تأثرًا كبيرًا بالمفردات القرآنية التي استلهمها في بناء نصوصه الشعرية، محورًا إياها في بيئات جديدة، لكنها لم تفقد بريق معناها الأول الذي انبثقت منه من داخل النص القرآني، فالقارئ الملم يظهر له جليًا مدى تقارب هذا المعنى وذاك، أو يفهم ماذا أراد الشاعر من وراء هذا التعالق.

المحور الثاني: القرآنية غير المباشرة غير المحورة.

في هذه الجزء يعمد الشاعر إلى استدعاء النص القرآني بشكل غير مباشر من أجل تقوية المعنى وتعزيز الدلالة لنصه الجديد، فيستلهم

معنى المفردات المتعالقة لإعطاء نصه الشعري تأثيرًا وجدانيًا عميقًا، مجسدًا المعنى ومكونًا فكرة غير مبتذلة أو مكررة، وهذا يرجع إلى مدى انشغال ذهن الشاعر بالنص الذي استدعاه وقوة تأثره به، فيخرج التعالق عمدًا أو عفوًا مستلهمًا في تلك القصائد، ويظهر هذا النوع من القرآنية واضحًا جليًا في قصيدة (غدير علي (عليه السلام)) نظمت في لندن وألقيت باحتفال للغدير في حسينية المرتضى عام ١٩٨٧ قال فيها:[٢٢]

"ذرني على صلةٍ فالبعد قد يلد السُّلُوَّ
عن وطرٍ بالقلب معقودِ
سفينتي لعبةُ الأمواج فاحدُ بها
أن تستوي بنهايات على الجودي
فأنت لي أينما شطَّ المدى وطنٌ
أعيشهُ رغم إبعادٍ وتشريد
هذا رقيمك خطته هموم فتى
عن كهفك الشامخ القدسي مصدودِ"

نرى أن الشاعر قد استدعى المعاني والمفردات القرآنية في هذه القصيدة بصورة تعبر عن اشتياقه لموطنه ومدينته النجف الأشرف وإلى الإمام علي (عليه السلام)، وكيف أنه قد باح بما في نفسه من الشوق والهموم التي قد أطبقت على روح شاعرنا وما ألمَ به في الغربة بعيدًا عن هذا المقام الذي تعلق قلبه به، فجاء خطابه بأن سفينته قد غدت لعبةٌ للأمواج فطلب أن يحدو بها الإمام علي (عليه السلام) لتستوي نهايتها على الجودي، وهذ المعنى هو مصداق لقصة النبي نوح (عليه السلام) التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢٣]، ففي قصة النبي نوح(عليه السلام) أن سفينته قد رست على الجودي وهو جبل قيل أنه في الموصل، وقيل في الجزيرة[٢٤]، ثم يعود وتتعالق مفرداته مع مفردات القرآن الكريم في سورة الكهف في (الرقيم – الكهف) فمعنى (الرقيم) هو الكتاب ولكنه عمد إلى مفردة الرقيم وجاء بها بتماس مع مفردة الكهف وهذا يحيل إلى بنية جديدة ونسق بنائي جديد تُلمح فيه القرآنية عبر استعمال المفردات

القرآنية المتعالقة.

ومن الأبيات التي كانت القرآنية حاضرة فيها قوله:[٢٥]

"بُلغة خصّصَها النبيُّ لذي القُربى كما صرّحت به الأنباء

لا تساوي جزءًا لما في سبيل الله أعطته أُمّك السّمحاء

ثم فيـها إلى مودّة ذي القُربى سبيل يمشي به الأتقياء"

ففي هذه القصيدة التي نظمها في أحد مستشفيات لندن عام ١٩٧٩ بحق الزهراء (عليها السلام) تفيض مشاعر الشيخ أحمد الوائلي وهو يصف مظلوميتها (عليها السلام) ثم يأتي التعالق في قوله: (إلى مودة ذي القربى سبيل يمشي به الأتقياء) التي وردت في قوله تعالى: ﴿قُل لّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٢٦]، فأخذ شاعرنا جزء من النص القرآني بشكل غير مباشر وعمل إلى بناء نص جديد متضمنًا المعنى الذي جاءت له الآية القرآنية مع اظهار وجه الربط مع البيت الشعري في النص القرآني.

ومن التمثلات القرآنية التي تظهر في قصيدة (عيد الأم) قال:[٢٧]

"تشتاقها الرُّوح كالرّمل الجديب إذا لاحت له ديمة أو رشَّه الدّرر

وأطمئن لذكراها كمؤمنة إذ تطمئن بذكر الله لو ذكروا

أماه هذا جناح الذلِّ أخفضه وجبهة في ثراك الطهر تنعفر"

نلحظ التعالقات النصية مع القرآن الكريم في البيت الثاني مستلهمة من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ الله أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٢٨]، فهذا الاستدعاء للنص في الخطاب الشعري أضفى عليه سمة التصديق؛ لأنه يجعله مفتوحًا على التأويل والتفسير في الذات الإنسانية، وينتج دلالة مؤازرة للنص؛ لأنه"يكاد لا يخلو خطاب شعري حداثي من استدعائه، وامتصاصه، ويصل الامتصاص إلى درجة الذوبان حتى نكاد لا نفصل فيه الخطاب الحاضر والخطاب الغائب نتيجة لكثافة الاستدعاء من ناحية وامتزاجه بنسيج الخطاب الشعري من ناحية أخرى، وهو امتزاج يكاد يتخلص نهائيًا من

السياق القرآني"[٢٩]،فالقارئ يلمح المفردة القرآنية ولكنها أنتجت دلالة في سياق جديد، وأما البيت الثالث ففي قوله: (أماه هذا جنح الذلّ أخفضه) مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[٣٠]، فقد حاول الشاعر استثمار التركيب القرآني في قصيدته مضفيًا عليها قوة وجزالة لتشد المتلقي ويتفاعل معها خصوصًا وإن عاطفة الحب في هذه القصيدة قد مثلت حب الأُم التي أوصى الله سبحانه وتعالى بخفض جناح الذلّ لها وللأب.

ومن استدعاءات القصة القرآنية في قصائد الشيخ أحمد الوائلي قصيدة (نبي السلام) التي كتبها بمناسبة ولادة السيد المسيح (عليه السلام) قال:[٣١]

"يا نبيّ السلام والنور يا من هو حبٌّ
لخصمه ونصيره
أنت تُحيي الموتى بإذن من الله وعن
أمره وعن تقديره"

إذ استقى مفردات قرآنية في نصه الشعري؛ لأن للتعالق القرآني ثراؤه واتساعه، إذ يجد الشاعر فيه كل ما يحتاجه من رموز تعبر عما يريد من قضايا من غير الحاجة إلى الشرح والتفصيل، فهي المادة التي رسخت في الذاكرة لعامة المسلمين بكل ما تحويه من قصص وعبر[٣٢]، استلهم الشاعر قصة النبي عيسى (عليه السلام) وكيف أن الله جعل له آية وهي أنه يحيي الموتى بإذن الله من قوله تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ﴾[٣٣]، فكانت نتيجة التعالق مع النص القرآني أن البيت الشعري عبّر عن قضية إحياء الموتى التي ذكرها القرآن الكريم معجزة للنبي عيسى (عليه السلام).

لا ينفك الشاعر من استحضار المعاني القرآنية ومنها قوله في قصيدته (أيها الأسعد) :[٣٤]

"قد رأته الأرواح والعين كلّت أن تراه
فهو البعيد القريب

كل شيءٍ من فيضه ونداه وإلى الله في المصير يؤوب"

فتتداخل كلمات القصيدة مع نص الآية القرآنية تداخلًا إيحائيًا، فتأخذ منها المعنى لتعزز القصيدة وتزيد من عمقها الدلالي، فكانت القرآنية مع قوله تعالى: ﴿والله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى الله الْمَصِيرُ﴾(٣٥).

الخاتمة:

يتجلى بوضوح في نتاج الشيخ الدكتور الشاعر أحمد الوائلي أثر شخصيته، وتعليمه، ويظهر أوضح ملامح هذا الأثر في التأثر بمصدر التشريع للأمة الاسلامية وهو القرآن الكريم، وكان هذا الأثر واضحًا في القضايا التي تناولها الشاعر في ديوانه وهو يعالج قضايا وهموم، ويعالج مشكلات تواجه الأمة، فكان للغة القرآن الكريم الأثر الكبير في لغة الشاعر الأدبية، فنجد قصائده قد تعالقت مع النص القرآني وكانت القرآنية حاضرة فيها على مستوى بنية القصيدة.

القرآنية التي زينت القصائد الشعرية للدكتور أحمد الوائلي كانت متأثرة ببيئته التي نشأ بها، فقد كان للبيئة النجفية الدينية التي عاش بها أثرًا كبيرًا، ثم دراسته، فكانت القرآنية هي السمة المشتركة التي انمازت بها قصائده.

ويظهر قلة التعالق مع النص القرآني في ديوانه، فنجد إن الشاعر لم يكن مكثرًا من التعالق وإنما كان تعامله معه بحكمة، واستعمالاته للمفردة القرآنية دقيقة، وهذا دليل على فهمه لدلالتها ومعانيها، وقدرته على توظيف المفردة القرآنية في نصه الشعري، فجاء هذا التوظيف بما يخدم المعنى الشعري ويقوي دلالته.

ولم تكن القرآنية التي وظفها الشاعر مباشرة، وإنما عمد إلى القرآنية غير المباشرة، بتحوير النص أو المفردة، إذ يتمكن القارئ من أن يلمح الصفة القرآنية دون أن يجد نصًا قرآنيًا في القصيدة.

ومع وجود القرآنية إلا أنها جاءت على نحو طبيعي، وليس متكلفًا أو مفتعلًا، وإنما عمد إلى أن يجعل المفردة القرآنية تلقي بظلالها على شعره، فيخلق لها دلالات جديدة، ويوظفها بشكل جديد، مع الحفاظ على الدلالات التي تنسجم مع النص القرآني الأصلي.

الهوامش:

١- ماهية التناص (مقال الكتروني): عبدالستار جبر الأسدي: ٢.

٢- تطور الشعر العربي الحديث والمعاصر في المغرب: د.عباس الجراري: ٥٤١.

٣- التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري، شربل داغر، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد ١٦، العدد ٠١، القاهرة، ١٩٩٧، ص: ١٢٧.

٤- تأصيل النص قراءة في ايدلوجيا التناص: د. مشتاق عباس معن، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠٠٣، ١٧٠.

٥- ينظر: المدونة الرقمية الشعرية: التفاعل/ المجال/ التعالق: د.حسن عبدالغني الاسدي، مطبعة الزوراء، ط١، العراق، ٢٠٠٩، ٨٧- ٨٨.

٦- ينظر: التناص في ديوان لأجل غزة: حاتم عبدالحميد المبحوح، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٠.

٧- ديوان الوائلي: ١٧٥.

٨- الفجر: ١-٣.

٩- ديوان الوائلي: ٢١٦.

١٠- يوسف: ١٠.

١١- يوسف: ٢٠.

١٢- المسد: ١.

١٣- ديوان الوائلي: ٢٥٢.

١٤- الاسراء: ١.

١٥- ديوان الوائلي: ٢٥٥.

١٦- النمل: ٤٤.

١٧- ديوان الوائلي: ٢٥٤.

١٨- الاسراء: ٤٦.

١٩- ينظر: تفسير القرآن العظيم لأبن كثير: ١١٢١، معاني القرآن واعرابه للزجاج: ٣/ ٢٤٣.

٢٠- ديوان الوائلي: ٢٢٣.

٢١- النبأ: ٣١-٣٣.

٢٢- ديوان الوائلي: ٦٧.

٢٣- هود: ٤٤.

٢٤- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٩٥٧، تفسير الكشاف للزمخشري: ٤٨٥.

٢٥- ديوان الوائلي: ٨٩.

٢٦- ديوان الوائلي: ٢٠٩.

٢٧- ديوان الوائلي: ٨٩.

٢٨- الرعد: ٢٨.

٢٩- مناورات شعرية: محمد

عبدالمطلب، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٦، ٤٩-٥٠.

٣٠- الاسراء: ٢٤.

٣١- ديوان الوائلي: ٢٥٩.

٣٢- ينظر: التناص في الشعر العربي الحديث - البرغوثي نموذجا: خصة البادي، دار الكنوز، عمان، ط١، ٢٠٠٩، ٤١.

٣٣- آل عمران: ٤٩.

٣٤- ديوان الوائلي: ٢٦٦.

٣٥- النور: ٤٢.

المصادر والمراجع :

١- القرآن الكريم.

٢- تأصيل النص قراءة في ايدلوجيا التناص: د.مشتاق عباس معن، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠٠٣.

٣- تطور الشعر العربي الحديث والمعاصر في المغرب: د. عباس الجراري.

٤- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(٧٧٤هـ)، دار حزم، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٠.

٥- تفسير الكشاف: أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، علق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٩.

٦- التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري، شربل داغر، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد ١٦، العدد ٠١، القاهرة، ١٩٩٧.

٧- التناص في الشعر العربي الحديث – البرغوثي نموذجا: خصة البادي، دار الكنوز، عمان، ط١، ٢٠٠٩.

٨- التناص في ديوان لأجل غزة: حاتم عبدالحميد المبحوح، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٠.

٩- ديوان الوائلي (ديوان شعر الدكتور الشيخ أحمد الوائلي (قدس سره) : شرح وتدقيق: سمير شيخ الأرض، مؤسسة البلاغ، دار سلوني، لبنان، ط١، ٢٠٠٧.

١٠- المدونة الرقمية الشعرية: التفاعل / المجال / التعالق: د. حسن عبد الغني الاسدي، مطبعة الزوراء، ط١، العراق، ٢٠٠٩.

١١- معاني القرآن واعرابه: أبو اسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (٣١١هـ)، تح: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٨.

١٢- مناورات شعرية: محمد عبد المطلب، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.